الفصل الثاني والثلاثون

برونز وفضة

السابع عشر من كانون الأول عام 2007م

لنتكلّم بلغة الأرقام قليلًا:

- هدف واحد في ثماني مباريات في الموسم الأول مع الفريق الأول.
- سبعة أهداف خلال (23) ظهورًا في موسم 2005م-2006م.
- خمسة عشر هدفًا في (31) مباراة، ما بين الدوري المحلي ودوري أبطال أوروبا لموسم 2006م-2007م.
- ثمانية أهداف في أول مباريات موسم 2007م-2008م.
- واحد وعشرون هدفًا في (22) مباراة بعد تسجيل الهاتريك في مرمى ريال مدريد، في شهر آذار من عام 2007م.

لكنّ هذه الأرقام لا تفي ليو جانبًا من حقّه فيما يخصّ تطوّر قدراته ومهاراته وأسلوبه في اللعب.

لنلقِ نظرة، إذن، على بعض عناوين الصحف التي تناولت هذا الموضوع بشيء من التفصيل:

obeikandl.com

- إل باييس: «ميسي يساوي الفريق بأكمله»، 2007/9/20م.
- ماركا: «ميسي يلعب دور المنقذ»، 23/9/2007م.
- إل موندو: «ميسي يفرض سيطرته»، 23/9/2007م.
- إل بيريودريكو: «ميسي الشجاع»، 27/9/2007م.
- لا فانغارديا: «استحق العرض الذي قدّمه ميسي ثمن تذكرة دخول الملعب»، 30/9/2007م.
- ماركا: «ميسي ملك الدوري»، 18/10/2007م.
- سبورت: «صعود لا يقاوم لميسي»، 9/10/2007م.
- موندو ديبورتيفو: «ميسي يرقص المامبو»، 9/10/2007م.
- آس: «ميسي يفعل ما فعله مارادونا من قبل»، 18/10/2007م.

الأمر لا يقتصر على عناوين كلّ صفحة تحتفل بلحظة مجد، أو بلقطة مليئة بالإلهام، «العبقرية والإلهام» من الأرجنتيني «الذي يحوِّل كلّ ما يلمسه إلى ذهب»، بل تأتي التعليقات أيضًا؛ من: المدرِّبينَ، والفرق المنافسة، وخبراء كرة القدم (إسبان كانوا، أم أرجنتينيين)، فضلاً عن توثيق بعض الدراسات انطلاقته الصاروخية.

يجري حديث هذه الأيام عن «لاعب كرة قدم بلا حدود»، وعن قدرته - بفعل طريقة تفكيره - على «المجازفة وتسيير المباراة كيفما شاء». هناك حديث آخر عن سرعته في الركض البالغة (4,5) خطوات في الثانية؛ وهو رقم يفوق الرقم (4,4) الخاص بِ أسافا باول؛ العدّاء الجامايكي الذي حطّم الرقم القياسي العالمي في سباق (100) متر عندما حقَّق زمنًا قدره (9,74)

فـي أثناء المنافسات التي جرت في مدينة ريتـي بإيطاليا، في التاسع من شهر أيلـول عام 2007م. ودار نقاش عن مركز الجاذبية المتركِّز في النصف الأسفل مـن جسمه، الأمر الذي يتيح له السيطرة على الكـرة والانطلاق بها إلى الأمام بسهولة، فضلًا عن مقارنته بصاحب الرقم (10) (مارادونا) باستمرار.

لـم يُظهِر دييغو أيّ معارضة لذلك في أثنـاء مقابلة له مع صحيفة ماركا؛ إذ قـال ببساطـة: «إذا قرَّر ريكارد إبقـاء ميسي على مقاعد البـدلاء فسيرميه (ريـكارد) لابورتا خارجًا». أمّا مدرِّب ريال سرقسطة فقد قال ما يدور في خلد الجميـع بعد هزيمة فريقـه المؤلِمة في كامب نو: «باستطاعـة ميسي أن يصبح الأفضل في العالَم».

من الملاحَظ أنّ المديح أُغدِق على ميسي من كلّ صوب، في المدة الممتدة بيـن شهري أيلول وتشريـن الثاني. ولأنّ موعد صدور أسمـاء المرشحين للفوز بجائزة الكرة الذهبية، التي تمنحها مجلة فرانس فوتبول، وجائزة أفضل لاعب فـي العالَم، بـات على الأبواب، فقـد أصبحت الآمال والتوقّعـات ظاهرة للعيان بصـورة أكبر. وفي ذلك، كتبت صحيفة لا فانغارديـا: «ميسي خلف كاكا بفارق ضئيـل. ميسـي مرشّح لنيل الكـرة الذهبية». أمّـا صحيفة مـاركا فأعلنت «أنّه مرشّـح بفضل الأداء الـذي قدّمه، والأهداف التي أحرزهـا؛ سواء مع البارسا، أو المنتخـب الأرجنتينـي». إنّها حملة متكاملة لمصلحـة البرغوث، على الرغم مـن إدراك الجميع أنّ كاكا هـو المرشّح الأبرز، وأنّ الجائزة في جيبه حتى قبل إعلان النتيجة.

علـى أيّ حال، من الأفضل شـنّ الحملات، ومنح آمـال الفتى الأرجنتيني دُفْقَة من المؤازرة. ففي أثناء عملية الانتظار تلك، نال ميسي جائزة برافو التي تمنحهـا مجلة غورين سبورتيفو الرياضية الإيطالية لأفضل لاعب في البطولات الأوروبية يقلّ عمره عن (21) عامًا.

يُعَدّ ميسي أول أرجنتيني وثالث لاعب من برشلونة - بعد غواردیولا ورونالدو- يفوز بتلك الجائزة. وفي الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني؛ أي بعدها بأسبوع، يرفع ريكاردو آيزكسون دوس سانتوس ليتيه الملقَّب بِـ كاكا (لقب أطلقه عليه شقيقه) الكرة الذهبية؛ إذ حلّ ميسي في المركز الثالث، وفاز بالبرونز، حاصدًا (255) صوتًا، في الوقت الذي جمع فيه كاكا نحو (444) صوتًا.

يشكر البرازيلي المنتمي إلى كنيسة ولادة المسيح، الربَّ على نَعْمائه أن جعله قادرًا على تكريس نفسه لهذه المهنة، ويرى أنّ فوز فريقه ميلان ببطولة دوري الأبطال، واحتلاله صدارة الهدّافين، هو ما رجّح كفّته على منافسيه. أمّا بالنسبة إلى ليو فقد أثنى عليه قائلًا: «قدرته على التحكّم في الكرة مثيرة للإعجاب. إنّه صغير، ويمتلك كثيرًا من المواهب، أعتقد أنّه بارع جدًّا».

الفرق بينهما بسيط بالنسبة إلى كاكا الذي صرَّح قائلًا: «لم يفز ميسي بأيّ ألقاب مهمة هذا الموسم؛ لا في الدوري الإسباني، ولا في دوري أبطال أوروبا، أعتقد أنّ ذلك أثَّر كثيرًا في حظوظه».

يتكرّر الموقف نفسه بعد ذلك بخمسة عشر يومًا، في حفل تقديم جائزة أفضل لاعب في العالَم لعام 2007م. ولكنّ هناك فرقًا واحدًا؛ فرقًا تسبَّب في حنق أحد أفضل اللاعبينَ في العالَم.

فاز كاكا بالذهب مرّة أُخرى بعد حصوله على (1047) صوتًا، ليتوَّج بذلك بوصفه أفضل لاعب في العالَم لعام 2007م، وَفقًا للتصويت الذي قام به زملاؤه. في حين تقدّم ليو إلى المركز الثاني هذه المرّة بعد نيله (504) أصوات، ليحوز الفضة، متفوِّقًا على كريستيانو رونالدو الذي نال (426) صوتًا، واكتفى بالبرونز.

يُعَـدّ ما حدث في القاعة بعد ذلـك أمرًا مسلِّيًا؛ فقد أعلن المقدِّم عن فوز ميسي بالمركـز الثاني، ورونالدو بالمركز الثالـث. ينهض كلاهما - في الوقت نفسـه- من الصف الأول؛ استعـدادًا للصعود على المسرح. يقوم ميسي بإقفال أزرار بزّته. إنّها المرّة الأولى التي يلبس فيها بزّة رسمية، ومن الواضح أنّه غير معتـاد على هذا النوع من الملابس. يقدِّم رئيـس الفيفا جوزيف بلاتر الجوائز برفقة بيليه على مسرح الأوبرا بزيوريخ.

كان رونالدو أول مَنْ صافح الموجودين. أومأ إلى الملك (بيليه)، ثمّ تناول جائـزة المركـز الثاني من دون تـردّد. اضطر بلاتر إلى الاقتـراب منه، قائلًا: «ميسـي، إنّهـا لميسي». كـرَّر المقدِّم نتيجـة التصويت، ثمّ طلـب إليهما تبادل الجائزتيـن. كانت لحظـة محرجة حاول فيهـا المقدِّم تلطيف الأجـواء، قائلًا لكريستيانو رونالدو: «لقد أديت على نحوٍ طيب، لكنّك لم توفَّق».

يغيِّـر كلاهما موقعه؛ استعدادًا للصورة التذكاريـة، ويستمر الحفل دونما مشكلات.

وفـي وقت لاحق، علَّق ليو علـى الموضوع في مؤتمر صحفـي، قائلًا: «قال بلاتـر: إنّ تلك الجائزة كانت لي، فذهبت لأخذها. ولكن، تبيَّن أنّها لكريتسانو، والأُخـرى لي». ثمّ أجاب عن سؤال حيـال شعوره، قائلًا: «في الواقع، إنّني أشعر بسعـادة غامرة، لقد منحني هذه الجائزة كلّ مَنْ صوَّت لي... قبل أن يحدث ما حـدث، كنت أقول لنفسي إنّه لأمر رائع أنّني من الثلاثة الأوائل؛ لذا، فأنا سعيد جـدًّا. لقد كانت أجواء جديدة بالنسبة إليّ؛ مـا حفزني إلى أخذها على ما هي عليه، وجعلني أشعر بالفرح والسرور».

كان يُفترَض أصلًا ألّا يحضر ميسي الحفل؛ فقد هدَّدت الإصابة التي تعرّض لهـا يوم السبت الـذي سبق، في ملعـب المستايا، إمكانية حضـوره الحفل. لكنّ

تقاريـر الأطباء كانت مبشِّرة، ما حدا ببعثـة البرسا على حزم حقائبها والتوجّه إلى زيوريخ، بقيادة خوان لابورتا، الذي تسلّم بدوره جائزة الفيفا للعب النظيف، نيابة عن نادي برشلونة لكرة القدم. وسافر خورخي ورودريغو أيضًا برفقة ليو.

وجد الأب والأخ بعدها بيومين فسحة من الوقت للحديث عن رحلة زيوريخ، والجوائز، وكثيرًا من الموضوعات التي تتعلّق بالبطل الذي يعرفانه حقّ المعرفة.

هـل شعـر بخيبة أمل بعـد إخفاقه فـي الفوز بالذهب؟ يجيـب خورخي في أثناء احتسائه الشاي، قائلًا: «إنّ مجرّد إحراز ليو المركزين الثاني والثالث على مستـوى العالَم في سنّ العشرين، يعني أنّه أصبح من الآن أيقونة في كرة القدم. لايزال أمامه متسع من الوقت لبلوغ المركز الأول إذا استمر على المنوال نفسه».

اصدقني القول، هل توقّعت أن يصل ابنك إلى هذا المستوى؟

«لا، لـم أتخيّل قطّ أن يحقّق ما حقّقه. كنت أتوقّع نجاح رودريغو الذي كان مهاجمًـا جيدًا. لقد ترعرع في نادي نيولز، ولعب لسينترال كوردوبا، وكان لاعبًا احتياطيًّا في دوري الدرجة الأولى، لكنّه تعرّض لحادثة درّاجة ابتعد على إثرها عـن الملاعـب مدّة عام، ثـمّ خضع لاختبار فـي تشيلي، ثمّ جلبتـه إلى هنا في محاولة لضمّه إلى فريق إسباني أو أوروبي».

وفـي هـذه الأثنـاء، يعلِّـق الأخ الأكبـر موضِّحًا الفـرق بينه وبيـن شقيقه الصغير، قائلًا: «لدى ليو صفة لا أمتلكها، هي قوة العزيمة؛ فقد ضحّى بالكثير ليصـل إلى مـا وصل إليه. لا أمتلك عزيمة مثله. فأنا أميـل إلى الكسل أكثر». – ولكن، مَن الذي زرع شغف حبّ كرة القدم في قلب ليو؟

يعتـرف خورخـي بحقيقـة هذا الأمـر، قائـلًا: «لم أكـن أحـد اللاعبينَ المهوَّسيـنَ بوصول أبنائهم إلى القمّة بأيّ ثمن. لم أكن ملهمه في ذلك؛ حماتي

هي التي كانت تصحب رودريغو وليو للعب، وليس أنا. صحيح أنّني درَّبته مدّة عام في ملعب غراندولي، لكنّني لم أكن معلِّمه. كنت أستمتع برؤيته يلعب فحسب».

من أين جاء شغفه بكرة القدم إذن؟

يجيب خورخي: «أحببت كرة القدم عندما كنت لاعبًا. كنت أصحو صباحًا، وأرقد مساءً وتفكيري منحصر فيها، ربّما ورث هذه الصفة عنّي».

ثمّ يشرح رودريغو ذلك الأمر بقوله: «عندما كان شقيقي في سنّ الخامسة أو السادسة، لم تكن هناك أيّ هدية قادرة على إدخال البهجة إلى قلبه ككرة القدم. لقد كان مهوَّسًا بكرة القدم شأنه في ذلك شأن الأولاد كافة. لكنّه عرف كيف يكون وفيًّا لعشق الطفولة خاصته، وسعى إلى تحقيق حلمه. سعادته كانت - وما زالت - مرتبطة بكرة القدم».

بوصفك وكيل أعمال لابنك الآن، كيف ترى هذه الوظيفة بعد أن كنت عاملًا في مصنع؟

«عليَّ حمايته؛ حفاظًا على مصالحه من بعض الأطراف التي قد توقِع به الأذى. هناك أناس يُظهِرون لك الحبّ والتقدير لكسب ثقتك، لكنّهم يناصبونك العداء خفية. إنّ العالَم ملىء بأمثال هؤلاء. لم يكن الأمر سهلًا، كان عليَّ التعلُّم، وقد تخلَّل ذلك الوقوع في بعض الأخطاء، لكنّني تمكَّنت شيئًا فشيئًا من معالجة القضايا العالقة جميعها».

كيف تنظر إليه بوصفك أبًا له؟

«إنّ العلاقة التي تربطني به جيدة، بصرف النظر عن فرق السنّ بيني وبينه الذي قد يوجِد بعض الحواجز. أُحاول منحه الحرية قدر المستطاع، فهو في حاجة إلى ذلك. أُفضِّل أن أراه محاطًا بشباب من جيله كأشقائه وأصدقائه؛

فأنـا لا أريد لابني أن يعتقد أنّني أُضيِّق عليـه. إذا احتاج إلى النصح فسأُسديه له، أُحاول ألّا أكون طرفًا في أيّ موضوع. أقول له بعض الأشياء وأعتقد أنّه يأخذ بهـا. وفيما يخصّ المال والعقـود، فنحن لا نتحدث عنهما أبدًا؛ فمعظم حديثنا ينصب على كرة القدم؛ سواء هنا، أو في الأرجنتين، وإنّنا نتحاور كالأصدقاء».

وكيف تجري الأمور معك أيّها الشقيق الأكبر؟

يـردّ رودريغـو بقولـه: «لقد مكثـت بجانب ليو فـي سنواته الأولـى هنا في برشلونة؛ سنوات لم تكن هيّنة قطّ، كان الملل يخنقنا. كانت أوقاتًا يلفّها الحزن، نقضيهـا إمّا في متابعـة الأفلام، وإمّا فـي لعب (البلاي ستيشـن). ثمّ تغيّرت حياتـه شيئًا فشيئًا، ومعها تغيّرت حياتي أيضًا. فقد أصبح يحبّ الخروج لتناول الطعـام بعـد إنهائه العمل. أمّا بالنسبة إلى حيـاة السهر فقد نأى بنفسه عنها، وكان لا يحـبّ الخـروج كثيرًا. كنـت أحبّ قضاء الأوقات في الخـارج، لكنّه كان يفضّل شرب شيء ما، وتجاذب أطراف الحديث. كان يقضي جُلّ وقته برفقتنا. يعتني كثيـرًا بابني الأكبر أوغستين ذي السنوات الخمس تقريبًا، ويحبّ ابنتي الصغيـرة التي وُلِـدت عام 2006م، وكذا الطعام الذي تُعِـدّه زوجتي فلورينسيا؛ سواء الدجاج المشوي، أو الإمباناداس التي تضاهي تلك التي تُعِدّها والدتي».

فـي رأيـك يـا خورخي، هل أسـهم ذلـك المال كلّه في تحسـين الأوضـاع المالية للاعب الكرة وعائلته؟

«لا، فنحـن لا نعيشـ حياة مترفـة، حتى إنّنا لـم نُنْهِ بعدُ بنـاء منزلنا في روزاريـو. يمتلك ليو هنا فـي كاستيلديفيلز بيتًا على الشاطـئ (شاليهًا) مكوّنًا من طابقين يضمّان أربع غرف نوم، وحديقة، وبركة سباحة صغيرة. إنّنا نعيش حياتنـا بالأسلوب نفسـه الذي تعوّدناه من قبلُ، لكنّ النـاس يظنون أنّنا تغيّرنا، مـع أنّ الأمر خلاف ذلك؛ فهم في الواقع مَـنْ تغيّروا. إنّهم ينظرون إلينا نظرة

مختلفـة... يحسدون صبيًّا أصاب جانبًا من النجاح. باختصار، إنّنا نوفِّر المال الذي يجنيه ليو؛ لكي يعينه والعائلة مستقبلًا».

وماذا بشأن مستقبله؟

«أعتقد أنّه سيكون على ما يرام؛ إذ سيعكف على تطوير مهاراته وقدراته، وسيصبح أفضل حتمًا».

هل يعني ذلك أنّه سيتفوّق، حتى على مارادونا؟

«كان دييغو لاعبًا فريدًا من نوعه. لكنّ ليو شخص آخر؛ فهو يعيش في زمن مختلـف، أتمنّى أن يقرب بأدائه من أداء صاحب الرقم (10)؛ سواء أكان ذلك من ناحية المزايا التكتيكية التي تمتع بها، أم النتائج التي حقَّقها».